

هل الدِّفاعُ عن النفس والدُّخولُ في حَرْبٍ جائزٌ كِتَابِيًّا؟

(Arabic – Is self-defense to the point of war biblical?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤالٌ حيرني وجوابٌ أفنعي
وسؤال هذه الحلقة : هل الدِّفاعُ عن النفس والدُّخولُ في حَرْبٍ جائزٌ كِتَابِيًّا؟
يجيبنا على هذا السؤال : Dr. Ron Rhodes
في كتابه : The Complete Book of Bible Answers

لقد اختلفَ المَسِيحِيُّونَ لقرونَ مُتعدِّدةٍ حتى يَومِنا هذا حَولَ هذا المَوْضُوعِ. فهُنَاكَ وَجْهَتَانِ نَظَرِ مُختلِفَتَانِ:

وَجْهَةُ النَظَرِ الأُولَى: القائلون بأنَّ أسلوبَ عَدَمِ المُقاوَمَةِ هُوَ تَعلِيمُ الرَّبِّ يَسُوعَ.. وَيَتِمَسَّكُ بِهذا المَبْدَأِ مَسِيحِيُّونَ كَثِيرُونَ يُعرِفونَ "بأنصارِ السَّلامِ" وَهَدَفُهُمْ عَدَمُ اللُّجُوءِ إلى العُنفِ أوِ الحَرْبِ في حلِّ المُنازَعَاتِ. وَيَقفونَ مَوْقِفَ المُعارَضَةِ بِحَزْمٍ ضَدَّ كُلِّ مَنْ يَلجَأُ إلى مُقاوَمَةِ العُدُوِّانِ بالعُدُوِّانِ. وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ خَطَأٌ فادِحٌ أَنَّا كَمَسِيحِيِّينَ نُؤدِّي الأَخْرينَ مِنَ البَشَرِ بَغَضًا النَظَرِ عَنِ الأسبابِ. وَكُتِبَ بولسُ الرِّسُولُ في رِسالَتِهِ إلى مُؤمِنِي رومية يَقولُ: "لا تَتَنَقِّمُوا لأنفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحْبَاءُ بَلْ اعْطُوا مَكَانًا لِلْعُضَبِ. لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ لِي النِّقْمَةُ أَنَا أَجَازِي يَقولُ الرَّبُّ".^١

وَأَصْحَابُ ذَلِكَ المَبْدَأِ لِلسَّلامِ وَعَدَمِ المُقاوَمَةِ السَّابِقُ ذَكَرُهُ. يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مِنَ الخَطَأِ الدِّفاعُ عَنِ النفسِ في جَميعِ الظُّرُوفِ والأَحْوالِ. وَوَجْهَةُ النَظَرِ تِلْكَ مَبْنِيَّةٌ على أساسِ السُّلُوكِ في الحَيَاةِ مُتَّخِذِينَ السَّيِّدَ يَسُوعَ المَسِيحَ نَموذجًا لَنَا لِنَقْتَدِيَ بِهِ. وَبِناءٍ على ما يُعَلِّمُ بِهِ "دَاعِيَةُ السَّلامِ المَسِيحِي" John Yoder وَهُوَ يُعارِضُ الاتِّجاهَ السِّيَاسِيَّ لِلحُكُومَةِ لِلدِّفاعِ عَنِ الدَّوْلَةِ بِاسْتِخدامِ الأَسلِحَةِ الفَتَّاكَةِ. وَيُنَادِي بِالأَخْذِ بِسِيَّاسَةِ المُسالَمَةِ إلى الحَدِّ الأَقْصَى. وَيَقولُ: إِنَّ هَذَا هُوَ تَعلِيمُ يَسُوعَ المَسِيحِ. وَهُوَ تَجَنَّبَ العُنفَ بِإِدارَةِ الخَدِّ الأَيْسَرِ لِمَنْ يَضْرِبُكَ على الأَيْمَنِ. مُسْتَشْهِدًا بِمَا جَاءَ بِإنْجِيلِ مَتَّى الأَصْحَاحِ الخَامِسِ إِذْ قالَ الرَّبُّ يَسُوعُ في مَوْعِظَتِهِ على الجَبَلِ: "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقولُ لَكُمْ: لا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ. بَلْ مَنْ لَطَمَكَ على خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الأَخرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرِكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَحَرَكَ مِلا وَاحِدًا فَادْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ".^٢

إِنَّ وَجْهَةَ نَظَرِ "John Yoder" أَنَّ طَريقَ الحَيَاةِ المُتَنَصِّرةِ على الشَّرِّ وَأَنْجَحَ الوَسَائِلِ لِلتَّغْلِبِ على عَدَاوَةِ الإنسانِ لأَخِيهِ الإنسانِ هُوَ تَجَنُّبُ التَّقَيُّدِ بِتِلْكَ الأنْظِمَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ العَنيفَةِ الَّتِي تَتعاملُ بِأسلوبِ "العَيْنِ بِالْعَيْنِ وَالسِّنِّ بِالسِّنِّ". إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ كَشَفَ عَن دَناءَةِ التَّعاملِ بِالْعُنفِ الَّذِي اتَّسَمَتْ بِهِ السِّيَاسَةُ العالَمِيَّةُ في وَقْتِنا الحاضِرِ. وَقَاوَمَ بِشِدَّةٍ الانْحِرَافَ البَغِيضَ الحَادِثَ في المُجْتَمَعِ البَشَرِيِّ المُنْحَدِرِ إلى هَوايَةِ الهَلَاكِ. لِذَلِكَ كانَ لِزامًا على المَسِيحِيِّينَ أَنْ يَرَفُضُوا السِّيَاسَةَ العالَمِيَّةَ المُتَّجِهَةَ إلى العُنفِ. وَمُقاوَمَةِ الانْحِرَافِ الحَادِثِ في المُجْتَمَعِ. وَاتِّباعَ مُخْلِصِهِمْ حَتَّى الصَّليبِ. مُتَّخِذِينَ الرَّبَّ يَسُوعَ مِثالًا.. فَلَقَدْ كُتِبَ عَنْهُ بِطَرَسُ الرِّسُولُ في رِسالَتِهِ الأُولَى الأَصْحَاحِ الثَّانِي: "الَّذِي إِذْ شَتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عَوضًا وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَهْدُدُ بَلْ كانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بَعْدَ".^٣

لَقَدْ جَاءَ بِرِسالَةِ يَعْقوبَ الأَصْحَاحِ الرَّابِعِ: "مَنْ أَيْنَ الحُرُوبُ والخُصُومَاتُ بَيْنَكُمْ أَلَيْسَتْ مِنْ هُنَا مِنْ لَدائِكُمْ المُحارِبَةِ في أَعْضائِكُمْ؟". تَشْتَهُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ. تَقْتُلُونَ وَتَحْسِدُونَ وَلَسْتُمْ تَقْدِرُونَ أَنْ تَتَأَلَّوا. تَخَاصِمُونَ وَتَحَارِبُونَ وَلَسْتُمْ تَمْتَلِكُونَ لِأَنكُمْ لا تَطْلُبُونَ. "تَطْلُبُونَ وَلَسْتُمْ تَأْخُذُونَ لِأَنكُمْ تَطْلُبُونَ رَدِيًا لِكَيْ تَتَفَقَّوا في لَدائِكُمْ". وَذَكَرَ مَتَّى البَشِيرُ في إنْجِيلِهِ الأَصْحَاحِ السَّادِسِ والعِشْرِينَ ما قالَهُ الرَّبُّ يَسُوعُ لِتَلمِيذِهِ الَّذِي اسْتَلَّ سِيفَهُ مُسْتَخدِمًا

^١ رسالة يعقوب ٤: ١ - ٣ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ١٢: ١٩ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل متى ٥: ٣٨ - ٤١

^٣ رسالة بطرس الرسول الأولى ٢: ٢٣

يَاَهُ. وهذا هُوَ النَّصُّ الْكِتَابِيُّ لِمَا حَدَّثَ: "وَإِذَا وَاحِدٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَ يَسُوعَ مَدَّ يَدَهُ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ وَضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذُنَهُ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "رُدِّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ".^١

وَجَهَّةُ النَّظَرِ الثَّانِيَّةُ: الْقَائِلُونَ بِأَنَّ أَسْلُوبَ عَدَمِ الْمَقَاوِمَةِ لَيْسَ النُّقْطَةُ الْجَوْهَرِيَّةُ فِي تَعْلِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ.. إِنَّهُمْ يُؤَكِّدُونَ أَنَّ أَسْلُوبَ عَدَمِ الْمَقَاوِمَةِ وَرَفْضَ التَّسْلِحِ لَيْسَ هُوَ النُّقْطَةُ الْجَوْهَرِيَّةُ فِي تَعْلِيمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. فَالَّذِي جَاءَ بِإِنْجِيلٍ مَتَّى الْأَصْحَاحِ الْخَامِسَ بِإِدَارَةِ الْخَذِّ الْأَيْسَرِ لِمَنْ ضَرَبَكَ عَلَى الْأَيْمَنِ لَيْسَ رَدَّ فِعْلٍ جَائِزٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ. فَيَسُوعُ نَفْسُهُ مَا أَدَارَ حَرْفِيًّا خَذَّهُ الْآخَرُ. حِينَ لَطَمَهُ أَحَدُ أَعْضَاءِ السِّينَهْدَرِيمِ الْيَهُودِيِّ. فَلَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ عَشَرَ أَنْ: "رَئِيسُ الْكَهَنَةِ سَأَلَ يَسُوعَ عَنْ تَلَامِيذِهِ وَعَنْ تَعْلِيمِهِ. أَجَابَهُ يَسُوعُ: "أَنَا كَلَمْتُ الْعَالَمَ عَلَانِيَةً. أَنَا عَلَّمْتُ كُلَّ حِينٍ فِي الْمَجْمَعِ وَفِي الْهَيْكَلِ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْيَهُودُ دَائِمًا. وَفِي الْخَفَاءِ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ. وَلَمَّا قَالَ هَذَا لَطَمَ يَسُوعَ وَاحِدًا مِنَ الْخُدَّامِ كَانَ وَاقِفًا قَائِلًا: أَهَكَذَا تَجَاوَبُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ؟ أَجَابَهُ يَسُوعُ: "إِنْ كُنْتُ قَدْ تَكَلَّمْتُ رَدِيًّا فَاشْتَهَدْ عَلَى الرَّدِيِّ. وَإِنْ حَسَنًا فَلِمَاذَا تُضْرِبُنِي؟".^٢

إِنَّ الْمَبْدَأَ التَّعْلِيمِيَّ الْمَقْصُودَ بِالمَوْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ. يَتَضَيَّحُ مِنْهُ أَنَّ الْمَسِيحِيَّ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَثَارَ لِنَفْسِهِ إِذَا أَهَيْنَ أَوْ افْتَرَى عَلَيْهِ. فَمِثْلُ تِلْكَ الْإِهَانَاتِ لَا تَهْدُدُ أَمْنَهُ. وَذَلِكَ يَخْتَلِفُ عَنْ لَزُومِ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ فِي حَالَةِ اغْتِصَابٍ أَوْ اعْتِدَاءٍ سَقَاحٍ. وَلَا تَبْتَاعُ يَسُوعَ كِمِثَالٍ لَنَا. يَلْزَمُنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ عَدَمَ إِدَاءِ الْمَسِيحِ آيَةً مَقَاوِمَةٍ شَخْصِيَّةٍ عِنْدَ صَلْبِهِ يَتَقَبَّلُ وَدَعْوَتُهُ الْخَاصَّةُ الْفَرِيدَةُ السَّامِيَّةُ. فَلَمْ يَتَجَنَّبْ يَسُوعُ الْقَبْضَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ يَتِمُّ التَّنْبِيهُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي كَانَ مُنْذُ الْأَزَلِ لَخَلَاصِ الْبَشَرِيَّةِ. وَلَكِنْ تَتِمُّ النُّبُوءَاتُ الْخَاصَّةُ بِهِ كَحَمَلِ اللَّهِ. وَلَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلٍ مَتَّى: "وَأَمَّا هَذَا كُلُّهُ فَقَدْ كَانَ لِكَيْ تَكْمَلَ كِتَابُ الْأَنْبِيَاءِ". وَمَعَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ صَوَّبَ وَجْهَهُ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ حَيْثُ يَتِمُّ الصَّلْبُ وَلَكِنَّهُ أَثْنَاءَ خِدْمَتِهِ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْيَهُودِ الْقَبْضَ عَلَيْهِ قَاوَمَ ذَلِكَ الْأَمْرَ. لِأَنَّ تَوْقِيتَ اللَّهِ لِمَوْتِ يَسُوعَ الْكَفَارِيِّ لَمْ يَكُنْ أَتَى بَعْدُ. فَبِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا يُسَجَّلُ الْوَحْيُ: "فَرَفَعَ الْيَهُودُ حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازًا فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا". إِنَّ تَحَمُّلَ يَسُوعَ لِلْأَلَامِ بِلَا مَقَاوِمَةٍ لَمْ يَكُنْ مَقْصُودًا بِهِ أَنَّهُ ضِدَّ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ. فَلَقَدْ ذَكَرَ مَتَّى الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِمَنْ ضَرَبَ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ وَقَطَعَ أُذُنَهُ: "اتَّظُنْ أَيُّيَ لَا أَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ أَطْلُبَ إِلَى أَبِي فَيَقْدِمَ لِي أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ جَيْشًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟. فَكَيْفَ تَكْمُلُ الْكُتُبُ أَنَّهُ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ؟".^٣

وَمِنْ الْوَجْهَةِ الْكِتَابِيَّةِ أَيْضًا بِخُصُوصِ مَسْأَلَةِ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ. هُوَ أَنَّ يَسُوعَ قَتِلَ صَلْبُهُ أَوْضَحَ لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُمْ سَيُؤَاجَهُونَ عُدُوَانًا. وَشَجَّعَهُمْ عَلَى بَيْعِ ثِيَابِهِمْ وَشِرَاءِ سَيْفٍ. فَبِإِنْجِيلِ لُوقَا الْأَصْحَاحِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ جَاءَ قَوْلُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ: "حِينَ أُرْسِلْتُمْ بِلَا كَيْسٍ وَلَا مِرْوَدٍ وَلَا أَحْذِيَّةٍ هَلْ أَعُوزُكُمْ شَيْءٌ؟. فَقَالُوا لَا. فَقَالَ لَهُمْ لَكِنْ الْآنَ مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِرْوَدٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِيعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا". وَالْمَقْصُودُ بِالسَّيْفِ هُنَا السَّلَاحُ الصَّغِيرُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ الْمَسَافِرُ الْيَهُودِيُّ لِيَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ اللَّصُوفِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْمُفْتَرَسَةِ. وَيَتَضَيَّحُ لَنَا مِنْ ذَلِكَ النَّصِّ مُوَافَقَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِتَلَامِيذِهِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ. إِنَّ الْمَسِيحِيَّ الْحَقِيقِيَّ هُوَ مَنْ تَجَرَّدَ مِنْ مَحَبَّةِ الذَّاتِ مُضْحِيًا بِنَفْسِهِ مِنْ أَجْلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْآخَرِينَ. وَإِنْقَادُهُمْ مِنَ الْخَطَرِ سَوَاءً كَانَ الْمُسْتَعِثُّ وَاحِدًا مِنْ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ أَوْ أَحَدَ جِيرَانِهِ أَوْ أَحَدَ النَّاسِ فِي مَازِقِ حَرَجٍ. وَلَوْ كَانَ عَدُوًّا لَهُ. إِنَّهُ لَا يَتَوَانَى دُونَ الْإِسْرَاعِ لِيَنْقِذَ مَنْ اسْتَغَاثَ بِهِ. بَلْ يَهْبُ لِنَجْدَتِهِ حَتَّى لَوْ كَلَفَهُ الْأَمْرُ التَّضَحِّيَةَ بِنَفْسِهِ. لَقَدْ أَعْطَانَا الرَّبُّ يَسُوعُ نَفْسَهُ مِثْلًا. فَلَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الْخَامِسَ عَشَرَ قَوْلَهُ لِتَلَامِيذِهِ: "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ".^٤

عَزِيزِي الْقَارِئُ.. لَيْتَكَ تَشْتَرِكُ مَعِيَ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيُّ.. أَشْكُرُكَ إِلَهِي "فَأَنْتَ قَوَّتِي وَعَلَيْكَ أَسْتَنْدُ". "لَا أَخَافُ شَرًّا لِأَنَّكَ أَنْتَ مَعِيَ". اِرْحَمْنِي لِأَنَّهُ بِكَ احْتَمَمْتُ نَفْسِي. "أَصْرُخُ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ. إِلَى اللَّهِ الْمُحَامِي عَنِّي. تَرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَتَخْلِصُنِي". "فَإِنْ نَزَلَ عَلَى جَيْشٍ لَا يَخَافُ قَلْبِي". "وَإِنْ قَامَتْ عَلَى حَرْبٍ فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ". أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِّ. مُتَكَلِّيًا عَلَى وَعْدِكَ يَا مَنْ قُلْتَ: "مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا".

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إِنْجِيلُ مَتَّى ٢٦: ٥١ - ٥٢

^٢ إِنْجِيلُ يُوحَنَّا ١٨: ١٩ - ٢٣

^٣ إِنْجِيلُ مَتَّى ٢٦: ٥٦ ، إِنْجِيلُ لُوقَا ٩: ٥١ ، إِنْجِيلُ يُوحَنَّا ٨: ٥٩ ، إِنْجِيلُ مَتَّى ٢٦: ٥٣ - ٥٤

^٤ إِنْجِيلُ لُوقَا ٢٢: ٣٥ - ٣٦ ، إِنْجِيلُ يُوحَنَّا ١٥: ١٣